الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الوفد
التاريخ: ١٩٩٨/١٢/٣١

ملف عائلة الرئيس

السادات — جيهان السادات

مذكرات د. محمود جامع
أخطر كتاب لهذا العام

تزوج السادات مرتين وأنجـ
وكان له ١٢ أخـ

ـب سبعة أبناء،
ـاً وشقيقا

ممدوح سالم — عثمان أحمد عثمان

هل صحيح أن «جيهان» ضربت
وزارة عينت آخرين؟!

الذين قالوا ان الدكتور محمود جامع يقدم فى كتابه الجديد «عرفت السادات» وجها آخر للسادات، لم يعرفه أحد من قبل.. الذين قالوا ذلك، صادقون تماما، لأنهم يمدحون الكتاب، ويمتدحون صاحبه، من حيث لا يقصدون.

إن محمد حسنين هيكل مثلا، قدم صورة قاتمة للسادات، فى كتابه «خريف الغضب» وهى صورة لم يرض عنها كثيرون، وكان هيكل فى حديثه عن السادات مبالغا فى تصوير الأخطاء.. وكانت عنده أسبابه وهى أسباب طفت وسادت حتى سيطرت على قلم هيكل، وهو يكتب، وتحكمت فى عقله وهو يحكم على الرجل، فأخفى كل الحسنات، وبالغ فى عرض كل السيئات.

أما موسى صبرى فقد كتب هو الآخر «السادات الحقيقة والاسطورة» وكان مدفوعا بحبه للسادات وولائه له، وصداقتهما القديمة، فجاءت الصورة وردية أكثر من اللازم، ومنمقة أكثر من الواجب، واستوت فى شكلها النهائى جميلة بأكثر مما هى عليه فى الواقع.

وأنيس منصور لكثير الصحفيين اقترابا من السادات لا يريد أن يكتب إلى اليوم.. أما أحمد بهاء الدين حين كتب، فقد كان بين بين، لا إلى هذا ولا إلى ذاك.

أما الدكتور جامع فالصورة عنده ليست مبرأة من كل عيب ولا هى فى المقابل غاطسة فى السواد إلى الكتفين.. فهو يقلب السادات، على شتى الوجوه، لتبدو كلها متجاورة إلى جانب بعضها البعض فلا السادات عنده ملاك ولا هو شيطان.. وإنما بشر ولذلك

جاء «سادات آخر» غير الذى عرفناه من قبل .. فاندهش الذين اندهشوا.

لأن الدكتور محمود جامع، كان قريبا من السادات كما تشير إلى ذلك الصور التى يضمها الكتاب. وتؤكده، فقد سمع منه الكثير خصوصا فى تلك الجلسات الخاصة التى كانت تضمهما معا، بمفردهما والتى كان السادات يبدو فيها، بجلبابه البلدى الابيض صيفا، ثم يضيف اليها العباءة شتاء، وقد اتكأ على كنبة بسيطة، فى منزله بميت ابوالكوم وإلى جواره د. جامع يسمع من الرئيس وهو يحكى ويقول.

ولو اراد المؤلف ان يحكى كل ما سمعه من السادات ولن يكتب كل ما رآه لجعل الكتاب فى حجمة الحالى عشر مرات ولكنه كتب - فقط - ما يمكن ان يكتب، وقال - فقط ما هو متاح من القول والرواية.

ان فى الكتاب فصلا اسمه «ملف عائلة الرئيس» وهو فصل - فى ظنى - ينقصه الكثير، ولا ينقصه شىء فى الوقت نفسه.. كيف؟!

أقول لك كيف

الفصل قليل الصفحات مع انه يتحدث عن عائلة السادات وهذه العائلة فى فروعها الاقرب هى كالتالى: تزوج السادات مرتين: الاولى كانت من السيدة إقبال ما ضى ومنها انجب ثلاث بنات «رقية، راوية، كاميليا» والثانية كانت من السيدة جيهان السادات ومنها انجب ثلاث بنات ايضا وولدا «لبنى، نهى، جيهان، جمال».

وكان للسادات ثلاثة إخوة اشقاء هم: طلعت وعصمت ونفيسة وتسعة اخوة غير اشقاء هم: عفت وزين وعاطف وسكينة وزينب وعائشة وهدى وسهير وعزة.

هؤلاء - إذا - هم فقط زوجتاه وابناؤه واشقاؤه. ولو جعل د. جامع لكل واحد او واحدة منهم، صفحتين لبلغ الفصل نحو اربعين صفحة على الاقل ولكنه لم يبلغ ربع هذا الحجم، لان المؤلف تجنب الخوض فى كل ما يمكن ان يجرح احدا، وتفادى الحديث فيما لا يفيد أو يضيف شيئا إلى القارىء.

وقد كان يعرف اصحاب هذه الاسماء

جميعا بدءا من جيهان السادات وإلى أصغر بنات السادات، ولكنه استطاع ان يفرق بين ما يقدمه فى كتاب للناس وبين ما كان عليه ان يحتفظ به لنفسه، حتى ولو كان هنا المسكوت عنه يغرى بالنشر والحديث وإثارة الجدل والنقاش فى دوائر الحوار.

وحين تتأمل كل هذه الاسماء التى تشكلت منها عائلة السادات أو اسرته، انا شخصيا الدقة فسوف تجد ان بعض الاسماء حظى بنصيب وافر من الشهرة والمجد والثراء - بالتالى - جدلا واسعا اثناء ولاية الرئيس وبعدها، وان البعض الآخر لم ينل حظا من الشهرة، ولم يعرفه احد من الناس، وان هذا البعض الأخير قد غاب تماما عن وسائل الاعلام بانواعها المختلفة وابتعد.

كانت جيهان السادات هى التى فازت بالنصيب الاكبر من الشهرة والجاه والسلطان، وكانت محورا لاهتمامات وسائل الاعلام سواء فى داخل مصر او خارجها. وكان ذلك مفهوما بالطبع لسببين: أولهما طبيعة علاقتها بالسادات واقترانها به، فى فترة صعوده ونجوميته، وثانيهما: ذكاؤها وقدراتها الخاصة فى التعامل مع الناس بوجه عام ومع وسائل الاعلام على نحو أخص.

ونحن نفهم من حديث د. جامع عنها انها لم تكن تتحكم فى اصدار قرارات خاصة بتعيين فلان أو عزل فلان من اى منصب او موقع رغم انها قد هددت ذات مرة وعلى مسمع من د. جامع باخراج الشيخ الشعراوى من الوزارة، عندما احرجها فى لقاء عام وشهير بمصر الجديدة.

ونفهم انها كانت تحب ان تكون على علم بما يجرى فى البلد وان المسئولين وخصوصا فوزى عبدالحافظ السكرتير الخاص للسادات، كان يرضى غرورها فى هذه النقطة بالذات. وكان يقدم لها التقرير الوافى عما يحدث هنا او هناك، وعمن سوف يقابلون الرئيس أو عن الذين قابلوه... إلى آخره.

وكانت تتدخل فى بعض الامور الانسانية، مثل ضغطها على السادات فى سبيل الافراج عن مصطفى أمين. وكان ذلك يوم زفاف احدى بنات السادات فى بيته بالجيزة وبحضور الدكتور على

السمان، ومحمود إبوافية، وأحمد رجب.

ولان السادات في الاساس فلاح وابن بلد، فإن قراره كان دائما «من دماغه» ولم يكن يخضع لسطوة احد ايا كان هذا الاحد رغم ما قيل كثيرا عن سطوة جيهان السادات، وعن سطوة عثمان أحمد عثمان وسيد مرعي.

ونفهم للمرة الثالثة ان كثرة الكلام عن سطوة جيهان السادات طوال السبعينات كان راجعا بالدرجة الاولى إلى شغفها بالظهور وبالنشاط الاجتماعي والخيري الموسع، وبالتكشيف الاعلامي عن تحركاتها وجولاتها.

ولكن هل استطاعت - مثلا - ان تعزل وزيرا او تعين آخر او تأتي بمسئول كبير إلى موقعه او تبعده عن موقع آخر؟!

التجربة ورواية د. جامع تشيران إلى ان قبضتها على حياة الرئيس الخاصة، وفيما يتصل باسرته، كانت قوية للغاية، بدليل انها استطاعت على سبيل المثال ان تبعد السفير احمد المسيري من الرئاسة إلى الخارجية لانه اراد الزواج من ابنتها، بينما هي - اي جيهان السادات - لم تكن موافقه على ذلك بل انها منعته من حضور عزاء الشهيد عاطف السادات وامرت فوزي عبدالحافظ باخراجه من السرادق في ميت ابوالكوم فاخرجه بالفعل فاصطحبه الدكتور جامع معه إلى بيته بطنطا.

وقد منعت ايضا بشهادة د. جامع نفيسة شقيقة السادات من تلقي العزاء في الرئيس بعد استشهاده يوم ٦ اكتوبر ٨١ فاضطرت الشقيقة إلى ان تسافر إلى ميت ابوالكوم لتتلقى العزاء هناك. ويوم استشهد السادات كان ابنه جمال في امريكا فخصصوا طائرة لاحضاره وعندما ارادت كاميليا السادات الحضور معه على ذات الطائرة لتتلقى العزاء في والدها منعوها بأمر من جيهان السادات.. فعادت بمفردها فيما بعد.

و عندما وقف السادات في مجلس الشعب في بدايات حكمه وقال ان قرار الاعتقال الوحيد الذي اتخذه حتى ذلك التاريخ هو قرار اعتقال شقيقه طلعت السادات.. حين قال ذلك كان صادقا رغم انه علم بالواقعة صدفة.

وكانت الواقعة ان طلعت ذهب لاستقبال احد اصدقائه بالمطار وكان الصديق يحمل ممنوعات ويريد ان يدخل بها ولولا ان ممدوح سالم وزير الداخلية فى ذلك الوقت قد أفهم شقيق الرئيس ان الصديق يريد ان يستغل صلته به ليدخل إلى البلد بما يريد.. لولا ذلك لكان الصديق إياه قد دخل بما حمل، ولكان مسئولو المطار قد فتحوا له الطريق على مصراعيه مادام فى رفقة شقيق الرئيس.. ولكن وزارة الداخلية كانت تنعم يومها بوزير من طراز ممدوح سالم يرحمه الله الذى تصدى وابلغ الرئيس بما كان من الشقيق والصديق.

وقد قضى طلعت السادات ٧ شهور فى الحبس بقرار من السادات!!

وسوف تبقى فى ملف اسرة السادات ورقتان مفتوحتان إلى اجل غير منظور.

الاولى ورقة جيهان السادات التى لا تزال قادرة على ان تقول وترد وتصد.

وهى نفسها صرحت قبل اسابيع بانها تعد كتابا عن حياتها مع السادات وبعده، وأن الكتاب سوف يغضب كثيرين.

والورقة الثانية هى ورقة عصمت السادات وهى انا كانت قد انطوت فإنها تبقى اشارة واضحة إلى ان أوزار الاقارب يتحملها المسئول حتى ولو لم يكن على علم بها وقت ارتكابها وتتضاعف الاحمال انا كان هنا المسئول هو رئيس الجمهورية وانا كان هو السادات تحديدا.

ويبقى سؤال مهم: لماذا انحصرت الضوضاء والا ضواء حول عصمت السادات من بين سائر اشقاء الرئيس الذين انحسرت عنهم فى الوقت نفسه، ذات الاضواء وتحولت إلى ظلال وغيوم.

هل لان عصمت كان راغبا فى العمل طامحا إلى الكسب وان الذين احاطوا بالرئيس لمحوا فيه ذلك فتلقفوه اعتقادا منهم بانهم يسعدون الرئيس فألحقوا به الاذى من حيث لم يقصدوا او يحسبوا وانتفعوا فى الوقت ذاته؟!

ان سائر الاخوة والاشقاء لا يعرف احد عنهم شيئا وربما كانوا مثل أحاد الناس فى مصر يعيشون يومهم بشق الانفس والحقيقة انها مشكلة كبيرة ان يكون للمسئول الكبير فى مصر ابن يريد ان يعمل كسائر الابناء. فمن حقه ان يعمل

بحرية كاملة وفى المكان الذى يريده وليس ننبه انه ابن فلان وليس من المعقول فى الوقت نفسه ان يكون موقع ابيه قيدا عليه.

ولكن.. فى الوقت نفسه كيف نستطيع ان نفصل بين العام والخاص فى مسألة كهذه؟ وكيف نكف من تلقاء انفسنا عن مجاملة ابناء المسئولين طواعية وبالمجان وبلا مبرر او سبب؟.

ان ابن المسئول فى مصر او قريبه انا خاض فى المحظور خطوة فليس ذلك إلا لاننا قد افسحنا له الطريق خطوتين.

سليمان جودة